

د. بوصبع سلاف

المستخدم و التقنية : امتدادات إبداعية

User and technology: creative extensions

تاريخ النشر: 2021/03/15

تاريخ القبول: 2021/02/18

تاريخ الاستلام: 2021/01/17

ملخص:

ولدت العلاقة بين المستخدم والتقنية أشكالاً إبداعية أضفت أبعاداً جديدة لاستخدامات تكنولوجيا الإعلام والاتصال وهذا ما سنحاول التطرق إليه في هذه المداخلة عبر رصد جملة الأبعاد والتمظهرات هذه والتي يمكن حصرها في ثلاثة نقاط أساسية، نبرز في الأولى تغير أحداثيات موقعة المستخدم من متلقي سلبي في وسائل الإعلام التقليدية إلى مستخدم نشط وفاعل ومشارك ومبدع، ونبحث في الثانية على القيمة المضافة التي أضحت المستخدم لهذه التكنولوجيات يعطيها للمحتوى في عهد الواب 2,0 وأخيراً سنتجه أكثر عمقا لنحلل العلاقة بين التقنية وهوية المستخدم من منظور تعبيرى إبداعى لندرج في الختام تساؤلاً مشروعاً حول العلاقة بين هذه التكنولوجيات والإبداع بمستوياته الفردي والجماعي؛ وكل ذلك وفق منهج تحليلي وصفي.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا الإعلام والاتصال؛ المستخدم؛ التقنية؛ الإبداع.

Abstract

The relationship between the user and the technique has created creative forms that added new dimensions to the use of Information and Communication Technologies. This is what we intend to address in this communication through mentioning these dimensions and manifestations, which can be limited to three basic points. The first point is the change of user location from negative recipient in the traditional media to active and creative user. In the second point, we highlight the added value that the user has for these technologies, giving them the content in Web 2.0, and; finally, we analyze deeply the relationship between technology and the user's identity from the perspective of creative expression. At last, we inquire about the relationship between these technologies and creativity, both individually and collectively, through an analytical and descriptive approach.

Keywords: Information and communication technology; User; Technology; Creativity.

مقدمة:

عرف استخدام تكنولوجيايات الإعلام والاتصال انتشارا واسعا وأضحى جزءا من الممارسات التي لم تعد قابلة للفصل عن النشاطات اليومية، هذا الاندماج في اليومية Quotidienneté والتي تشير حسب بيار شومبا P. (Chambat 1994) " إلى مستوى من الواقعية وإلى نسق منتظم من الممارسات المتولدة عن انتشار التكنولوجيايات الاتصالية والإعلامية في مجموع الأنشطة اليومية " وكذا زيادة الوقت المخصص لها بشهادة الواقع المعاش فما يلاحظ في هذا المجال هو التطور السريع لنسب مستخدمي الهاتف والانترنت إذ بلغ عدد مستخدمي الانترنت في الجزائر مثلا ما يتجاوز 18580000 مستخدم في منتصف سنة 2017 بنسبة تعادل 45,2% من السكان وهي نسبة غير بعيدة عن المعدل العالمي الذي يفوق بقليل نصف عدد سكان العالم في نفس السنة ، فيما بلغ نسبة مستخدمي الهاتف النقال في الجزائر دائما 117,02 % سنة 2016 بحسب احصائيات الاتحاد الدولي للاتصالات ، هذا الانتشار الواسع لتكنولوجيايات الاعلام والاتصال قد رسم معالم جديدة للعلاقة بين المستخدم والتقنية مما أدى إلى بروز انماط جديدة من التعاطي مع هذه التكنولوجيايات ، مستغلة امكانياتها التقنية تارة وقافزة ومتحدية لها تارة أخرى ، فكان أن تجاوز المستخدم الوظائف والصفات التقنية ليخلق توليفاته المبدعة الخاصة والتي تظهر من خلال ما يلي :

1. احداثيات جديدة لموقعة مستخدم فعال في علاقته بالتقنية :

حاولت العديد من الدراسات شرح العلاقة بين المستخدم وهذه التكنولوجيايات وعلى رأسها الانترنت، فنجد بوليي (D.Boullier 1995) يقدم مقاربة تقنواجتماعية، تتمثل فكرتها الأساسية في أن " المستخدم أثناء استعماله لتكنولوجيايات الاعلام والاتصال الحديثة عموما والانترنت تخصيصا، فإن سلوكه هذا يتخذ، إما حركة انطوائية أو حركة افتتاحية " محكومة بدرجة تفاعله مع الجهاز، فالأولى تحصر هذا التفاعل بين المستخدم والجهاز فقط، في حين يصبح الجهاز وسيطا لعلاقة تفاعلية تبدأ بين المستخدم والجهاز وتمتد لنمط آخر من التفاعل بين المستخدمين مع بعضهم ليصبح الجهاز هنا وسيطا لهذا التفاعل.

فالعلاقة بين التقنيات المختلفة والمستخدم ليست علاقة نمطية، بل تأخذ أشكالا عديدة وهي إذ ذلك محكومة بعاملين رئيسيين، أولها الخصائص التقنية للأداة وجملة الوظائف التي تؤديها، وثانيها المعاني والدلالات التي تثيرها هذه الأداة أو تلك لدى المستخدم، وهي تقوم على التفاعلية مما يجعل المستخدم، مستخدما نشطا، يشغل الآلة وفق نمطه الخاص بالطبع إضافة إلى نمط المنطق التقني الذي تفرضه التقنية فينتج عن ذلك أسلوبا للاستخدام يتزاج فيه النمط الشخصي للمستخدم والنمط التقني للأداة.

وهذا طبعا لا يتأتى إلا عن طريق توفر حد أدنى من الثقافة التقنية التي تسمح للمستخدم بالتفاعل مع الجهاز أو التقنية والتي تحتوي حسب سلفرستون (Silverstone 1989, 1992) على ثلاثة أبعاد :

- الإرث التكنولوجي: الذي يشير إلى مجموع المواقف والمعارف المرتبطة بالتكنولوجيايات والتي تم نقلها من الأسرة.

- المشوار التكنولوجي: ويحيل على العلاقات المتراكمة للفرد مع التكنولوجيايات المختلفة .

- المهارة التكنولوجية : والتي تشير إلى جملة المعارف والمهارات التي يجندها الفرد عندما يدخل في علاقة مع التكنولوجيايات، وهو يحمل البعدين السابقين .

والملاحظ أن الواب 2.0 غيرت موقعة المستخدم الذي اعتبر مستهلكا ومتلقيا في الواب 1.0 مع قليل من التفاعلية التي توفرها بعض التطبيقات والخدمات مثل المنتديات أو البريد الالكتروني أو مواقع التحميل ،إلى

مستخدم منتج وخلاق في الواب 2.0 ، خاصة مع توفر إمكانية الولوج وسهولة التحكم بها وبالتالي تقلص المهارات اللازمة للتعامل معها، كما دعمت الوظيفة التعبيرية أو ما أسماه بركس وميلران (2006) الاستخدام التعبيري مثل التراسل الفوري، والتعليق على مدونة، مقابل الاستخدام الآتاني للواب مثل البحث عن المعلومات.

- تفاعلية وحضور :

ظهر مصطلح التفاعلية L'interactivité لأول مرة في " كتاب In astronomy لصاحبه وارن Henry W.War (1879) حول التأثير المتبادل للذرات " ، ثم استعملها إميل دوركايم للتعبير على التأثير المتبادل الحاصل بين الفاعلين البشريين في المجتمع، وانتقل المفهوم بعدها إلى الدلالة على العلاقة التبادلية بين البشر لينفتح الطرف الثاني فيها على "الآخر"، سواء أكان إنسانا أو آلة، وهذا بعد ظهور ما يسمى بالذكاء الاصطناعي ، و يمكن ان تعرف التفاعلية من هذا المنطلق حسب قاموس lexique de l'information -communication على انها " اختيار المستعمل من بين البرامج والخدمات التي يوفرها له الوسيط الإعلامي وقتما يريد " ؛ وفي السياق نفسه تقول جوي (1993 J.Jouet) أنّ التفاعلية في الواقع هي الحوار إنسان آلة والتي لا تنبني فقط على "ذهاب وإياب" دائم بالأوامر والإجابات ولكنها تعطي إمكانية التدخل للمستعمل بواسطة اللغة العادية أو الرموز في محتوى هذا التبادل.

وعليه يتضح من التعريفات السابقة أنّ هذا المفهوم قد تجاوز الدلالة المباشرة على فكرة رجع الصدى المتكرسة في الأدبيات الاتصالية مشيرة إلى التفاعل باعتباره آلية اتصالية اجتماعية، ممتدا إلى التعبير عن "إمكانيات الاتصال بين مستعملي الوسائط وبين هذه الوسائط؛" وبالتالي العلاقة بين الإنسان (المستخدم) والآلة (التكنولوجيا الاتصالية) والتي تطورت خاصة مع ظهور الأنترنت وما رافقها مثل الوسائط المتعددة والواجهات والروابط التشعبية التي ساهمت في تعزيز التفاعلية والتي تجسدت في علاقة ثنائية تمتدّ أولا من المستخدم إلى التقنية ليتمكن هذا الأخير بموجبها من تشغيل التقنية وفكّ الرموز المختلفة لرسائل النظام عن طريق ما يسمى اللغة المهيكلّة، والتي تعني " القدرة على الانتقال من نمط "مقروء عن طريق الآلة" إلى نمط "مقروء عن طريق البشر"، ممّا يمنح إمكانيات تفاعلية مبتكرة جدا، والتي لا تتطور إلاّ عندما تشترك مع المحتويات الخاصة التي يتم إدخالها من قبل المستعملين " ، وهذا ما يكرّس لدور المستخدم النشط مع التكنولوجيات المختلفة " من خلال حملها لأنماط خاصة، لا تفترض فقط الحضور المستمرّ للمستخدم لتشغيل هذا الجهاز أو ذاك، ولكن بالموازاة تستوجب مشاركته الفعالة، فالحاسوب مثلا يعمل إلاّ استجابة للأمر من المستخدم، وبالتالي تحدث قطعة مع نموذج التلقّي الذي كان سائدا فيما مضى مع وسائل الاعلام التقليدية وهذا ما اضفي قيمة مضافة للمستخدم في علاقته بالتقنية .

- التحويل : صور من ابداع المستخدمين

لاحظ العديد من المفكرين المتتبعين لتاريخ تطور بعض التكنولوجيات الاتصالية، أنّ هذه الأخيرة قد تغيرت وتحولت عن استعمالاتها التي صممت لها أصلا أثناء مسار استخدامها، وفي هذا الصدد يؤكد فينبورغ Feen- (2014 boerg) أنّ تكنولوجيات الاتصال اعتبرت في الأساس وسيلة للبتّ والاستعمال الرسمي وانتهت كوسيلة للتفاعل الإنساني غير الرسمي؛ والأمثلة عن ذلك كثيرة مثل جهاز الفيديو (magnetoscope) الذي صمم في البداية لصنع وتصوير فيديوهات ثم تحوّل إلى جهاز منزلي لمشاهدةشرطة الفيديو، وكذا الهاتف الذي جاء لتلبية حاجات الحكومة، ثم تم امتلاكه فيما بعد لحاجات عائلية واجتماعية، ولا يمكن في هذا الصدد إغفال حالة المنتال الفرنسي (Minitel) الذي يعدّ أولى الشبكات المنزلية أين تمّ توزيع 6 ملايين نهائي (طرفية) مينتال على مشتركي الهاتف في بداية الثمانينات في فرنسا من أجل تزويد المشتركين ببعض المعلومات والسماح بالوصول إلى بنك المعلومات (مثل دليل الهاتف الإلكتروني، مواقيت القطارات...الخ)، وقد تحول أثناء استعماله هو الآخر

إلى وسيلة لهوية ترفيهية.

وتحولت هذه الفروق بين تصور المصممين لاستخدام التقنية واستخدامها الفعلي إلى إشكاليات غذت الدراسات الأولى في سوسيولوجيا الإستخدام فظهرت في دراسة بيريوت Perrriaut من خلال ما أسماه "منطق الاستخدام" والذي يفترض تطوير المستخدمين لممارسات جديدة مؤطرة بإهتماماتهم وإنشغالاتهم، وكذا في دراسة دي سيرتو De certeau الذي "حلّ الفرق بين الاستخدامات المختلفة التي تمّ تسجيلها عن طريق طرح فكرة وجود عالمين، عالم الإنتاج، وعالم الاستهلاك أو الاستخدام والذي ينظر إليه كممارسات مبتكرة وخلاقة" وتأسيسا على ما سبق يظهر أنّ اندماج تكنولوجيا معينة ودخولها حيّز التشغيل الفعلي، يخلق ممارسات تختلف ولو بدرجات متفاوتة -عن ما قرّر لها أثناء تصميمها، وعليه يسمى هذا الفارق بين الاستخدامات الموصوفة أو المسبقة والاستخدامات الفعلية الملاحظة على أرض الواقع "التحويل" والذي يتيح هامش مناورة المستخدم أثناء تملكه لأداة ما، وما تفصح عنه من تغييرات وتحويلات في الاستعمال تنتج ممارسات جديدة غير تلك التي تم رصدها في الاستخدام الموصوف، والذي يعني طرق الاستعمال التي توجد أصلا في تصميم الأداة (تعليمات الاستعمال والخطب المرفقة والترويج الإشهاري لها).

ومن هنا نستطيع القول أنّ الاستخدام الموصوف موجود فقط على مستوى الجهاز، بينما يتدخل المستخدم أثناء تملكه لهذه الأداة لخلق استخدامات فعلية لها، وذلك عن طريق ما أسماه دي سيرتو التحايل (Bricolage)، إذ يرى أنّ المستخدمين عادة ما يخلقون طرقهم الخاصة في الاستخدام وفي هذا أيضا تكريس لدور المستخدم النشط و المبدع الذي يخلق ممارساته الخاصة التي تتكرّس فيما بعد في أنماط من الاستخدام وعليه "ومن خلال هذه الفنون وطرق العمل، يتم بناء الاستخدام، ويتمّ تفريغ أو إنقاص الرموز المفروضة، وكذا تأثير المنتج" أو ما يعبر بصفة جازمة عن تجاوز المستخدمين لمواصفات التقنية الى انماط ابداعية.

- القفز على الحواجز الزمانية والمكانية :

لقد أتاح استخدام التكنولوجيات الاتصالية كذلك إعادة تموقع المستخدم إزاء الزمان والمكان، فحسب جوسيان جوي (J.Jouët 2000) التي ترى أنّ أدوات الاتصال السلكية واللاسلكية أعادت أيضا تحديد حدود الزمان والمكان، ليس فقط من ناحية نمط التلقي ولكن من خلال نمط الإرسال كذلك فالمستخدم لا يدخل من كل مكان فحسب (المكتب، المنزل، مكان جماعي) وفي كلّ وقت لعدد من الشبكات الاتصالية التي يختار، بل أكثر من ذلك أنّه يحمل عالمه الحميمي (الخاص) في الفضاء المكاني العام أو الافتراضي.

وهكذا يتجلى لنا كيف أنّ الإمكانيات التي توفرها لنا هذه التكنولوجيات والتي سمحت بتخطي الحدود الزمانية والمكانية، وتغير فكرة التنقل الجسدي للمستخدم في الفضاء العمومي وكذا إمكانية النفاذ المستمرّ للمعلومة وإمكانية التعبير المستمرّ عن مختلف المعلومات كذلك، أعادت تشكيل الفوارق بين الفضائين العام والخاص، وهنا "تحدث جوي Jouët. لعن حركة مكانية مضاعفة تؤدي إلى نقل العالم الخاص في الفضاء العمومي والولوج إلى الفضاء العمومي من المنزل".

وهنا يمكن اعتبار المدونات أحد الأشكال الأكثر تعبيراً عن تماهي الحدود بين الفضائين العام والخاص، يضاف إليها شبكات التواصل الاجتماعي، والتي وإن كانت عبارة عن أرصدة خاصة للمستخدمين إلا أنّها قد تعبر عن فضاء عمومي يحتدم فيه النقاش حول مختلف الفضاءات والأحداث.

2. ثانيا :الابداع في التعامل مع المحتوى:

أكدت الدراسات تغيير العلاقة بين المستخدم والمحتوى أو النص المستخدم (يفتح الدال)، بدايةً بفكرة الترميز وفكّ الترميز التي جاء بها ستيوارت هال Hall والتي تمنح للمستخدم الدور الأساسي في بناء المعنى أمام تعدد

المعاني التي يفترضها هذا النص أو وذاك، وقد تأكدت هذه الفكرة أكثر مع دراسة التلقي التي قام بهاد فيد مورلي Morly مع إعادة تسييقها في إطار أوسع.

وعليه ظهرت أنماط ابداعية جديدة للتعامل مع المحتوى أو النص، فرضه الموقع الجديد المستخدم وتتمثل أساسا فيما يلي:

- ظهور عادات سوسيو معرفية جديدة تنبع من تغير العلاقة بين المستخدم والمعلومة "إذ يشير تقرير نشرته جامعة لندن College of London في 2008 حول الباحثون الجدد أو باحثو جيل قوقل أنّ الممارسات المعتمدة من قبل المستخدمين الشباب للمكتبات الافتراضية للبحث أو القراءة على الخط ، يكمن ترجمة سماتها البارزة في كلمتين : مقارنة شاملة للمصادر وقراءة انحرافية للوثائق " .

إذ يختلف تعاطي المستخدم مع المعلومة بين البحث الورقي و البحث الإلكتروني من عدة نواحي، و لو " أنّ المرور من الحامل المطبوع إلى الحامل الرقمي أدى إلى تغيرات لا تزال مستعصية القياس " ، هذا ما يحيلنا على نمطين من القراءة الأولى تقليدية ذات نمط خطي وأحادية البعد، والنمط الثاني قراءة رقمية تتسم بالتعبيرية والتفاعلية وتحتوي حسب جيل برونوفوست على موارد اجتماعية وفكرية ويستطيع بموجبها القارئ تشكيل مسار قراءته مبديا تحكما أكبر فيما يقرأ، كما يمكنه إثراء قراءته بواسطة الروابط الشعبية وهذا ما يتخلى فعل القراءة على خطيته المعهودة وكذا يمكنه المزاجية بين النص والصوت والصورة في قراءة متعددة تقفز على نمطية النص المؤلف و تبدع اشكالا جديدة .

- إنتاج المحتوى والتشارك :

كما يمكن الحديث في هذا السياق على فكرة قفز المستخدم على رتبة الأشكال التقليدية للمعلومات وإمكانية الشخصة، والتدخل في المحتويات باعتبار المستخدم منتجا مولدا للمحتويات، وعلى هذا الأساس يمكن أن نعتبر أنّ التكنولوجيا الاتصالية وعلى رأسها " تكنولوجيا الواب 2.0 تسهل رسملة (من رأسمال) المعارف وتبادلها" وهذا في إطار تشارك المستخدمين للمعلومات الذي يتخذ أنماطا ابداعية جديدة تتمثل في التعبير عن الذات والتفاعل الاجتماعي وكذا بناء (إنتاج) المحتوى.

لقد أصبح المستخدم منتجا للمحتويات وليس فقط مستهلكا أو متلقيا لها فتحول بذلك إلى المنتج أو المولد للمضامين User generated content حتى أنّ مفهوم الواب 2.0 يتمفصل حول المستخدم المنتج للمضامين كما أسلفنا .

لقد بدأ إنتاج المحتويات مع المدونات وتكثف بشكل كبير مع الشبكات الاجتماعية والمنصات التشاركية، فالمستخدم ينتج هذه المضامين من ناحية، ويقوم بتشاركتها من ناحية أخرى إما بصفة فردية أو في إطار الإنتاج الجماعي للنص أو ما سمي (مواقع التحرير الجماعي Wiki)) و هو ما يمكن التعبير عنه بمصطلح " الريزومية، هو مصطلح اقترحه الناقدان جيل دولوز و فيليكس غواتاري عبر موضوع معبرين به عن رفضهما للكتابة الكلاسيكية الشجرية التي يتفرع فيها النص من الكاتب عبر موضوع واحد كالشجرة المتناسكة، بينما الريزوم الكتابي هو حالة توليد متسلسلة للنص والمعنى عبر مواضيع غير محدودة، وفي اتجاهات غير محددة " ، وهذا ما يحيلنا على فكرة التشارك والتي تعني تبادل المحتويات والمضامين بين المستخدمين (سواء أكانوا منتجها أم لا) على شكل نصوص وموسيقى (Podcasts)) وفيديوهات (Vidicastes) أو حتى صوراً الشخصية ... إلخ ؛ حتى أنّه يُعزى لهذه الخاصية نجاح الفايسبوك الذي يسمح بتشارك المحتويات بكل سهولة.

- العودة إلى النص والابداع اللغوي :

من العادات والممارسات الجديدة التي يشهدها الاستخدام، العودة إلى النص وإلى التواصل المكتوب بدل أنماط الاتصال الأخرى (كالاتصال الشفوي) التي لا تزال حاضرة ولكن بشكل أقل حدة ، وقد أكدت دراستنا الميدانية للاستخدام الاجتماعي في الجزائر ذلك حيث سجل نزوع نحو الاتصال المكتوب خاصة لدى الفئات العمرية الصغرى حيث " لوحظ تناسب عكسي بين سن المبحوث وتفضيلاته لنمطي الاتصال ، إذ سجلنا انخفاضا لنسب الاتصال المكتوب كلما تدرجنا في الشرائح العمرية من الأصغر إلى الأكبر وذلك بالانتقال من نسبة 65% للفئة الأقل من 30 سنة إلى 38,5% للفئة الممتدة من 46 إلى 60 سنة مروراً بـ 54% للفئة التي تتوسط الشريحتين العمريتين السابقتين وفي هذا تأكيد على العودة إلى نمط الاتصال المكتوب بانتشاره الواسع لدى الفئة الأقل سناً " .

سطوة النص هذه كما أسمتها باكيونسقي (2011 F.Paquiensequy) انتقلت من استعمال الرسائل النصية القصيرة في الهاتف النقال (SMS) والذي عرف انتشاراً كبيراً خاصة لدى الشباب والمراهقين بحسب ما تثبته الدراسات فمثلاً وفي دراسة قامت بها مارتين (2004 C.Martin)* في إطار رسالة دكتوراه في جامعة IMETZ الفرنسية، والموسومة بالتمثيلات الاجتماعية للهاتف النقال عند الشباب المراهقين وعائلاتهم، أي شرعية للاستخدامات ؟ تؤكد هذه الأخيرة نقلاً عن دراسة ميدانية، أن استعمال الوسائل النصية القصيرة يقدر بنسبة 92% من بين المستجوبين من 12 إلى 17 سنة، و94% من بين شريحة العمرية من 18 إلى 24 سنة فيما سجلت فقط 42% من بين البالغين، وعليه نلاحظ أنّ نسب الاستعمال هي نسب مرتفعة جداً لدى المراهقين والشباب، فيما تبقى نسباً متوسطة لدى البالغين، وهذا ما يظهر دور متغيّر السنّ في استخدام الرسائل النصية القصيرة، مما دفع بالكثير من الدراسات إلى تحليل استخدامات الشباب والمراهقين للهاتف النقال ولوسائله النصية القصيرة SMS على الخصوص.

وعلى العموم نستنتج أنّ هذا الاستعمال الكثيف الذي خلقته عدة محددات مثل مسألة التعود، وتذليل الصعوبات التقنية، وكذا كون الرسائل النصية القصيرة فعالة، عملية و اقتصادية إضافة إلى رمزيّتها (التي سيلي الحديث عنها)، كلها عوامل ساهمت في كثافة استخدام الرسائل النصية القصيرة SMS وانتقاله باعتباره ترأسلاً كتابياً- إلى مختلف الوسائط الأخرى (الشبكات الاجتماعية)، وهذا ما خلق لغة إلكترونية جديدة، بدأت تشكل موضوعاً دسماً للتحليل من قبل العديد من الدراسات والباحثين (مثلاً نجد دراسة مفكر اللسانيات أنيس (2001 J.Anis) في كتاب له يحمل عنوان (Parler vous texto ?) لهذه اللغة الجديدة من منظور لساني رمزي).

ومن الناحية الفعلية تتميز هذه اللغة الجديدة بعدة سمات لعل أهمها:

- أنّها نتجت عن إبداع المستخدمين في استعمال اللغة العادية تماشياً مع متطلبات استخدام التكنولوجيات المختلفة، وكذا مع سياق وظروف هذا الاستخدام (مثلاً عامل السرعة) وفي هذا الصدد تعتقد ريفيار (2002 C.A Riviere) أنّ تحديد 160 حرفاً (بالنسبة للرسائل النصية القصيرة) "قد خلق تلاعبات في الكتابة أقل أو أكثر ابتكاراً، وأنّ ما يشرح الأشكال الكتابية التي تمّ ابتداعها هو نية التلاعب بالمكان " .

- أنّ هذه اللغة تتميز باستعمال الرموز والاختصارات والأيقونات، "وتقع بين اللغة المكتوبة واللغة الشفوية، إنّها تعبّر عن حروف كتبت ليتمّ الاستماع إليها " .

- يكون طرفا العملية الاتصالية في هذه اللغة عبارة عن وسوم وكائنات كتابية حوارية مع غياب المرجعية غير اللفظية مما يدفع بالمستخدمين إلى الإبداع من أجل تغطية الغياب الفيزيقي و محاولة تدارك هذا النقص عن طريق مختلف الأيقونات (كالسمالي مثلاً) للتعبير عما تقوم به لغة الحضور الجسدي وهو ما يفسّر انتشارها الواسع حسب رأينا وبأشكال إبداعية عديدة.

1. أنّها تعبّر عن أنماط لغوية متكررة ومبتكرة، بدأت تستقرّ مع الوقت ويتمّ الإجماع عليها إلكترونيا إن صحّ هذا التعبير .

2. أنّها ذات بعد رمزي، فهي عادة تعبّر عن خصوصية اجتماعية وثقافية للمجموعة التي تستعملها، وهي بذلك قد تكون شكلا للتمايز والاختلاف بخلق حدود سوسيوثقافية لهذه المجموعة أو تلك، إنّها علاقة دالة على الانتماء، " فالأمر لا يتعلق هنا بقواعد وآداب التبادل ضمن الفضاءات الاتصالية المعروفة في الفضاء الأنترنت بإتيكات الأنترنت (netiquette)، ولكن يرتبط بعلامات انتماء... ففي كثير من المواقع، يتمّ الأخذ بمعجم لغوي مغلق (مصطلحات عسيرة الفهم، أو يطعم برموز ذات مدلولات باطنية " ، وهذا ما يفسّر عادة استخدام هذه اللغة فقط مع جماعات الأصدقاء مثلا.

3. التقنية والتعبير الابداعي الهوياتي :

تؤكد جوي (1992) Jouet "تملك المستخدمين خواصّ التقنية لإشباع تعبيرهم عن ذاتهم." وفي هذا تطويع لها وفي هذا الصدد نجد بعض الدراسات التي تبين العلاقة بين استخدام التكنولوجيات الاتصالية والتأكيد الهوياتي خاصة لدى الشباب والمراهقين، وهذا ما أسماه كلّ من باتريك آمي P.Amey وسباستيان ساليرنو S.Salerno (2015)* في دراسة لهما حول المراهقين والأنترنت "براديفم الفردانية التعبيرية" (L'individualisme expressif) أين يجب أن يتمّ تحقيق الذات لدى هؤلاء المراهقين عبر معرفة الهوية الشخصية ضمن مجموعات مختارة انتخابيا في عالم مصغر موسوم ببحث عن تأكيد هوياتي.

فيما تذهب دراسة أخرى لكلّ من مهدي عمري M..Amri ونيرة فاكفلور (2010) N.Vacaflor** بعنوان "الهاتف المحمول والتعبير الهوياتي" إلى استعارة تعبير تكنولوجيات الذات "Technologie de soi" من ميشال فوكو M. Faucault (2001) للتعبير عن هذه العلاقة، مظهرة بذلك من خلال الشباب الذين يمثلون عينة الدراسة إلى أي حدّ يمكن أن يكشف الهاتف النقال (موضوع الدراسة) هوية مستعمله، وكيف يمكن أن توضح خطب المستخدمين أطروحة إظهار (كشف) الذات من خلال مختلف استراتيجيات شخصنة الأداة، فاخيار الرنات والخلفيات وكذا مختلف أنواع التطبيقات التي تدلّ على شخصية صاحبها أو على الأقل جزء منها.

- الشخصنة :

فمن بين أهمّ خصائص وسمات استخدام تكنولوجيا الاعلام والاتصال هي كونه استخداما "مشخصنا"، تأخذ فيه العلاقة بين المستخدم والأداة طابعا منفردا يبدع بموجبها المستخدم أنماطا من الفعل الخاص، بخلق ممارسات جديدة أو تكرار أخرى أو إعادة توجيه ممارسات قديمة وتكييفها، مع إضفاء الطابع الشخصي على هذه الممارسات في كلّ الحالات من خلال تطوير مسار شخصي وخاص لاستخدام مختلف التكنولوجيات، والذي يمثل "حوصلة من أشكال متنوعة من أنماط الاستخدام، يقترب ممّا أسماه U.Rogge لـ "مسيرة الوسائط"؛ " Les media careers بالنسبة للمستخدم "، وتظهر هذه الأنماط من خلال التاريخ الشخصي للاستخدام والذي يتميز فيه هذا المسار بنوع من الديمومة والتواصلية مع إمكان وجود تقطعات ترتبط إمّا بظهور أحداث وتغيرات مهمة في حياة المستخدم أو بامتلاك أدوات اتصالية جديدة.

فشخصنة أنماط الاستخدام تؤسس على فكرتين أساسيتين أولاهما أنّ المستخدم خلاق مبدع يطور أنماطه الخاصة، وفي هذا الصدد يرى بولكس (2002) Proulx أنّ مسارات الاستخدامات ليست فقط ترجمة لأنماط وعادات الممارسات، إنّها تشكل في الوقت نفسه مجالات مثمرة للعمل الإبداعي للإنسان، وثانيها أنّ هذا الاستخدام يتأسس على استقلالية المستخدم والذي تعبّر عنه جوي (1993) Jouet بانتقال موقعة المستخدم من المخيال الاستهلاكي إلى مخيال الاستقلالية، والتي بموجبها يطور هذا الأخير أنماطه الخاصة للاستخدام في

إطار ما أسمته التجربة الاتصالية.

- خلق و "اختلاق" هوية أو هويات افتراضية :

وفي نفس السياق دائما يستغل المستخدم الخصائص الناتجة عن استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال كتجاوز الحضور الجسدي المستخدم في علاقاته مع الآخر، وإمكانية التكتم على الهوية الفعلية في خلق هوية أو (هويات) افتراضية قد تقترب أو تبتعد عن الهوية الفعلية، و يتحول بموجب ذلك إلى هوية افتراضية تتعلق إما بالمستخدم بحد ذاته أو بالمجتمع الافتراضي الذي ينتمي إليه والذي يمدّه بمحددات هويته الافتراضية على اعتبار أنّ للهوية بعدين شخصي وجماعي في آن معا، وتحلل الهوية الافتراضية آنذاك في إطار النظرية الدرامية، إذ "يجد الأفراد المشاركون أنفسهم يلعبون أدوارهم التفاعلية المتوقعة منهم تماما مثلما هي الحال في الحياة الطبيعية، ولكن وفق صورة الإثاقية الرقمية بمواصفات القضاء السايبري المختلفة" وهذا ما يسمى التمسرح التفاعلي، فيضحي فيه الإيصال أداءً مسرحيا لدور معين وبوجود الجمهور الذي ينتظر هذا الدور ويتجاوب معه، وهنا يبدع المستخدم في تقمص هذا الدور أو ذاك ويبدع الجمهور في التماهي مع ذلك أيضا.

والهوية الافتراضية هي أن يلعب المستخدم دور شخصيته الخاصة، حقيقية كانت أو متخيلة لجمهور كان هو الآخر حقيقيا أو وهميا، على رأي جيل برونوفوست (2011) (G.Pronovost)*، مبينا بذلك إمكانية أن تكون الهوية الافتراضية هي هوية وهمية ويمثل خلقها أداءً مسرحيا يقع بين ازدواجية التعبير عن نشاط إبداعي لا يتم فيه إنكار الذات بل يعتبر مصدرا لإنتاج رمزي (دلالي)، أما الحالة الثانية حسبه دائما فتحيل على تباعد المستخدم مع ذاته وتؤكد على قدرته على المغامرة "ما وراء نفسه"، ومن جهته يقسم صادق رابح (2008) الهوية الافتراضية إلى مستويين أولهما إنفصام هوياتي بين هذه الهوية والهوية الواقعية وثانيها إنفتاح هوياتي وفيه لا يتحلل الفرد في الذوات الافتراضية وإنما يهدف بذلك إلى التموضع الواعي والتفكير بقدراته الإبداعية.

وفي الأخير لا يمكننا ان نغادر هذا المقام دون الحديث ومن منظور استشرافي عن الابداع في العلاقة بين المستخدم والتقنية إذ أنه وحسب التقرير الاستشرافي لوزارة الثقافة والاتصال الفرنسية (2015_2030) والذي قدم ثلاث فرضيات لحالة المجتمع والثقافة مع استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال، يتراوح فيها موقع الابداع بين الاتجاه أو النزعة (tendancielle) التعبيرية، الموصولية و والتي تتميز بالإبداع الفردي من منظور الممارسات الاجتماعية والثقافية، المميز لتعميم استخدام النفاذ والاستخدامات، فضلا عن التعبيرية، إذ يعود الأفراد الأقل اندماجا في التقنية على تفسير أمورهم الخاصة بالتعبير وبطرق متعددة عن مهاراتهم وذواتهم؛ وبين فرضية الرقابة العمومية التي ستعطي الأولوية للبحث عن معنى مشترك، من خلال الإبداع الجماعي، وستضمن المؤسسات الإبداع الثقافي الجماعي المفتوح والحر، وعليه تلج إشكالية بحثية هنا في الظهور وهي التقنية وعلاقتها بالإبداع من خلال مستوييه الفردي والجماعي و أيهما سيأخذ الخطوة في مستقبل استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

المصادر والمراجع:

1. Millerand ,F. Usages des NTIC :les approches de la diffusion,
2. de l'innovation et de l'appropriation(1ère partie)1998 .consulté le 17Juin 2013. URL : http://composite.org/v1/98.1/articles/ntic_1.htm
3. احصائيات موقع انترنت وورلد ستاتيس 2018 . internetworldstats.com/af/dz.htm
4. احصائيات موقع الاتحاد الدولي للاتصالات (2017) [www.itu.int/en/ITU-D/statistics:pages:stat:default.aspx](http://www.itu.int/en/ITU-D/statistics/pages:stat:default.aspx)
1. عبدلي ،أ. (2014). الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيا الاتصال الانترنت نموذجاً: مقارنة نظرية. اطلع عليها بتاريخ 14 ماي 2016 في موقع: http://www.bchaib.net/mas/index.php?option=com_con-tent&view=article&id=337:-separation-&catid=10:2010-12-09-22-53-49&Itemid=7
2. Millerand , F.(1999). Usages des NTIC :les approches de la diffusion, de l'innovation et de l'appropriation(2e partie)1999. consulté le 17Juin 2013. URL : http://composite.org/v1/99.1/articles/ntic_2.htm
3. Millerand, F. ;Proulx, S. la ,& Rueff, J. (directeurs). (2010). Web social, Mutation de la communication. Québec : Presse de l'université de Québec.
4. Papilloud, C. (2010). L'interactivité. tic&société [En ligne], Vol. 4, n° 1 | 2010, mis en ligne le 04 août 2010,Consulté le 11 octobre 2012. URL : <http://ticetsociete.revues.org/769>
5. Balle, F. (directeur) et al. (2006). Lexique de l'information communication. Paris : éditions Dalloz.p 217 .
6. Jouët , J.(1993). Pratiques de communication et figures de la médiation. Réseaux, 1993, volume 11 n°60. pp. 99-120. Consulté le 19 septembre 2012. URL : http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/reso_0751-7971_1993_num_11_60_2369
7. Papilloud ,2010).Op.cit
8. Vaucelle , A. , & Hudrisier, H. (2010). Langages structurés et lien social . tic&société [En ligne], Vol. 4, n° 1 | 2010, mis en ligne le 17 mai 2010, Consulté le 10 octobre 2012. URL : <http://ticetsociete.revues.org/790>
9. Feenberg ,A. ,(2014) . Vers une théorie critique de l'Internet, tic&société [En ligne], Vol. 8, N° 1-2 | 1er semestre 2014 et 2ème semestre 2014, mis en ligne le 31 mai 2014, Consulté le 02 juin 2014. URL : <http://ticetsociete.revues.org/1382>
10. Millerand ,1999 ,Op.cit.
11. Ibid.
12. Jouët , J .(2000). Retour critique sur la sociologie des usages. Réseaux, 2000, volume 18

- n°100. pp. 487-521. Consulté le 12 octobre 2012. URL : http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/reso_0751-7971_2000_num_18_100_2235
13. Millerand ,1999 ,Op.cit.
14. Roselli, M. (2010). Formes de réception et d'appropriation des ressources numériques en milieu étudiant. tic&société [En ligne], Vol. 4, n° 1 | 2010, mis en ligne le 19 mai 2010, Consulté le 11 octobre 2012. URL : <http://ticetsociete.revues.org/824>
15. Pronovost,Op.cit
16. Ibid.
17. Bougazala ,Y. Bouzid, I . (2012) .Le rôle des réseaux sociaux et des TIC dans les révolutions arabes : Les résultats d'une enquête. [En ligne]Consulté le 12 MAI 2014 . URL : http://www.lesphinx-developpement.fr/blog/wpcontent/uploads/2012/04/YB_IB_JM1.pdf
18. العبيد ,ب. ع.(2011).الربيع العربي وانعكاساته على الفضاء العام السعودي : تساؤلات في الوعي السياسي لدى المتلقي السعودي . اطلع عليها بتاريخ 5 ماي 2013 في موقع : [Fac.ksu.edu.sa /badalbaid/](http://Fac.ksu.edu.sa/badalbaid/page/19431)
19. سلاف بوصبع . مقارنة نقدية للاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال في المنطقة العربية: التمثل والتملك والخطب المرفقة .(الجزائر نموذجاً) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال,جامعة الجزائر 3 كلية الاعلام والاتصال ,قسم الاتصال ,2017/2018, ص 275
20. Paquienséguy , F.(2011). Multimédia et web 2.0 : entre pratiques éditoriales et industries créatives . ,Consulté le 2 aout 2013 . URL : https://lesenjeux.univ-grenoble-alpes.fr/2011-dossier/Enjeux_2011_2.pdf
21. * انظر : Martin, c. (2004). Représentations sociales du téléphone portable chez les jeunes adolescents et leur famille : Quelles légitimations des usages ? . thèse pour le doctorat en sciences de l'information et de communication. Université de Metz. France.
22. Ibid. .P 311 .
23. Ibid. .P 311 .
24. رابح, ص. (2007). الانترنت كفضاء مستحدث لتشكل الذات. المجلة المصرية لبحوث الرأي العام, 8 (02). ص 8
25. Granjon , F., Lelong ,B. ,& Metzger ,J.(2010). De la diversification des usages sociaux des TIC considérée comme effet et cause d'inégalités sociales . Distances et savoirs. Volume 8 – n° 4/2010 . consulté le 21 décembre 2014. URL : https://ds.revuesonline.com/gratuit/DS8_4_12_DS_V8n4_lecture_critique_Peraya.pdf
26. * انظر Amey, P. ,& Salerno,S.(2015) . Les adolescents sur Internet : Expériences relationnelles et espace d'initiation. Revue française des sciences de l'information et de la commu-

- nication . [En ligne], 6 | 2015, mis en ligne le 23 janvier 2015, consulté le 11 décembre 2016.
URL : <http://journals.opened/rfsic.128>
27. ** انظر : Amri , M . ,& Vacaflor, N.(2010) .Téléphone mobile et expression identitaire : Réflexionssur l'exposition technologique de soi parmi les jeunes
28. Texte en ligne consulté le 20 octobre 2013 URL :http://w3.u-grenoble3.fr/les_enjeux
29. Proulx , S. , & Laberge, M. F. (1995). Vie quotidienne, culture télé et construction de l'identité familiale . Réseaux, volume 13, n°70, pp. 121-140. consulté le 6 juillet 2013. URL : www.persee.fr/doc/reso_0751-7971_1995_num_13_70_2669
30. Proulx , S. (2002) .Trajectoires d'usages des technologies de
31. communication : les formes d'appropriation d'une culture numérique comme enjeu d'une société du savoir. Consulté le 30 mars 2013. URL :<http://www.sergeproulx.info>
32. Jouët , J.(1993).Op.cit
33. رحومة، ع. م. (2008). علم الاجتماع الآلي مقارنة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب. الكويت: سلسلة عالم المعرفة. ص 137.
34. انظر : G Pronovost., (2011). Rapport d'étude exploratoire de nature qualitative sur les pratiques culturelle des jeunes dans le contexte de l'univers technologique actuel. Remis au Ministère de la culture des communication et de la condition féminine Québec. consulté le 26 janvier 2014. Texte en ligne. http://www.mcc.gouv.qc.ca/fileadmin/documents/publications_sur_18-juin_2011.Pdf
35. رابع، ص. (2014). فضاءات رقمية: قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات. بيروت: دار النهضة العربية.
36. Ministère de la culture et de la communication française, (2015). Usages et pratiques culturelles : évolution des usages des TIC. Consulté le 23 Mai 2016. Texte en ligne. www.culturemedias2030.culture.gov.fr/annexe/15-fiches-culture-2030-15